المجلد: 19 العدد: 02/ سبتمبر2024
ص: 199 - 210
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

صراع النسق المضمر في رواية "البطاقة السحرية" محمد ساري

THE CONFLICT OF STYLE IMPLIED IN THE NOVEL THE MAGIC CARD BY MOHAMMED SARI

نجمة بن سعيدي *[1]، محمد تحريشي [2]
[1] جامعة طاهري محمد – بشار- (الجزائر)، BENSAIDI .NEDJMA@UNIV-BECHAR.DZ
[2] جامعة طاهري محمد- بشار- (الجزائر)، TEHIRICHI.MOHAMED@UNIV-BECHAR.DZ

تاريخ الإرسال: 2024/06/04	تاريخ القبول:2024/03/17	تاريخ النشر: 2024/09/30

****

ملخص

شهد المجال الأدبي نقلة نوعية في انتقال النظرية النقدية المعاصرة، من تأويل وقراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، من خلال عملية الكشف عن المضمرات النسقية، والعمل على اكتشاف الأبعاد الثقافية عبر النقد الثقافي هذه الرؤية المعرفية، أدت إلى التغير في طريقة القراءة والتأويل، فالنص أضحى داخل مجهر الأنساق الثقافية المتوارية فيه. ما دفع لتجلي فكرة نقد الثقافة أو النقد الثقافي لدى النقاد وتبلورها في المجال الأدبي.

من هنا خصصنا في هذه الدراسة محاولة لقراءة مختلف الأنساق الثقافية التي يزخر بها الخطاب الجزائري والقابعة داخل الرواية التي نحن بصدد دراستا. فما أهم أشكال الأنساق الثقافية المتخفية بين سطور" البطاقة السحرية" لمحمد ساري؟

الكلمات المفتاحية:

النقد الثقافي; النسق; العنوان; الرواية; الشخصية.

***ABSTRACT* :**

The literary field has witnessed a qualitative leap in the transition of contemporary critical theory, from the interpretation and reading of creative texts to the reading of cultural formats, through the process of revealing the thematic implications, and working to discover cultural dimensions through cultural criticism. This cognitive vision has led to a change in the way of reading and interpretation, as the text has become inside the microscope of the cultural patterns hidden in it. What prompted the manifestation of the idea of culture criticism or cultural criticism among critics and its crystallization in the literary field.

From here, we have devoted in this study to read the various cultural styles that abound in the Algerian discourse and that are contained within the novel we are studying. What are the most important forms of cultural patterns hidden among the lines of Mohammed sari's " Magic card?"

***Keywords*:**

Cultural criticism ; , format ; title ; novel ;character

* نجمة بن سعيدي

صراع النسق المضمر في رواية "بطاقة السحرية" محمد ساري

1. مقدمة:

بوجود العديد من النظريات التي يؤسس لها الباحثون في المجال المعرفي، ومن أجل محاولة فهم الظواهر المحيطة بالإنسان، إلا أن اتساع العلم وعمقه، يُصِعبُ تفسير العديد من جوانب الحياة، فتكون جهود العلماء الباحثين محاولين إيجاد أجوبة لأسئلتهم، فمعظمهم يتوقف عند نقطة معينة؛ فيعجز عن التقدم في التفسير لما يبحث فيه. غير أن ليس كل العلماء رغبتهم محدودة في فهم العالم، وظواهره بخاصة في مجال فهم الرؤية الثقافية في المتن الأدبي.

تشهد الدراسات النقدية بحوثا قيمة في البحث، و مقاربة النصوص الأدبية التي تتمتع بخصوصية جمالية و فكرية،و قد عرفت تسعينيات القرن الماضي، وجهة فكرية واسعة في الدراسات النقدية، شاهدة على مرحلة ما بعد الحداثة (ما بعد البنيوية)، و اتضاح التمايز والاختلاف، بل الطلاق بين الأشكال الفنية الجديدة و ثقافة تأويل الجانب الثقافي؛ فقد أضحى النص هو النتاج الفكري لثقافة معينة، و هذا الاتجاه انبثق عنه الغوص في فهم النص، و محاولة تشريحه و تفكيك غموضه عن طريق التأويل النسقي، و باقتراب النص من واقع الحياة، ليعقد العزم على خلق رؤية واقعية بحلة فنية،وجمالية تفرضها الكتابة الأدبية، والبحث، عن خاصية الاشتغال في تحليل الخطاب ،والتأريخ للثقافة، ومن ثم تحول التحليل من النقد الأدبي، الباحث عن البلاغة و جمالية المعاني إلى النقد الثقافي بالبحث في عيوب الخطاب، للتمكن من استكشاف وفهم النقد الثقافي وعلاقته مع الدراسات الثقافية، و ما هي مصطلحاته و إجراءاته؟ التي تقودنا من ثم إلى محاولة البحث عن الفرق بين النقد الثقافي والنقد الأدبي من ناحية المشابهة والاختلاف.

إن الخطاب الأدبي بطبيعته يُضمر تمرداً دلالياً وثقافياُ مغايراً، تماماً لما يصرح به ظاهرهُ، مما يجعل منه مسرحاً لجدل أنساق ثقافية، وفكرية متناقضة تنصاغ في نسيج نص محتال مراوغ، يسعى إلى قمع النسق المضمر والتشديد على إبقائه في القاع، متوسلاً في ذلك إستراتجية اللعب باللغة، وتقويم المعنى، مما يجعل الإمساك بالدلالة النصية الغائرة أمراً صعباً، ومع ذلك فإن هذه الألاعيب الجمالية على الرغم من التعمية الدلالية التي تمارسها، تشي بوجود النسق الثقافي المضمر، الذي يأتي الخطاب الجمالي للتصريح به علناً.

من ثم جاء السعي إلى الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة و المبطنة في الرواية بصورة كلية، تبرز من خلالها ما يتماهى خلف التورية الثقافية، والكشف عما تصوره الرواية في داخلها من أمور مبطنة تتعلق بعادات اجتماعية تهيمن على الجنس الآخر، فنحاول استكشاف ما تعانيه الكتابة، أو الإبداع من سلطة المؤسسة المجتمعية من خلال تعرية الأنساق الثقافية، إلى مستوى عالي من الوضوح، و قد استدعى ذلك إلى تتبع الخطوات المنهجية ابتداء من تقديم النقد، و النسق الثقافي ثم قراءة ثقافية .

إن تحقيق ذلك يكون من خلال امتطاء صهوة النقد الثقافي، الذي سيخول لنا الانطلاق في القراءة النسقية، التي يزخر بها الإبداع الأدبي، والذي لا بد وأن يكون مكتنز الأنساق. ويهدف هذا البحث إلى تقديم نموذج يكشف عن تجليات الأنساق الثقافية المضمرة.

2. النقد الثقافي

إن النقد الثقافي يقوم على مجموعة من المفاهيم والثوابت النظرية والتطبيقية، وهي تمثل دعائم مركزية ومنهجية من أجل تحليل النصوص فهمًا وتفسيرًا وتأويلاً، وهو من أهم الظواهر التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب، والنقد، والحداثة هذا الاتجاه، قد أثار جدلاً كبيرًا بين المثقفين والنقاد. لما له من جدية خاصة في الساحة الأدبية العربية لأن " النقد الثقافي ما بعد البنيوي من الموضوعات التي ظهرت على الساحة النقدية العالمية إبان الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم، وقد أخذ هدا الاتجاه بالرواج بين الكثير من النقاد والمؤلفين وعلى اختلاف اختصاصهم،أ ما عربيا فقد ظهر المصطلح تحديداً عند د. عبد الله الغدامي في كتابه (النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية) الذي صدر في عام 2000، وقد أعلن فيه موت النقد الأدبي وأحل مكانه النقد الثقافي ما بعد البنيوي، تماشياً مع الميتات التي ظهرت عند دعاة الحداثة وما بعدها غربياً."[1] وإدخال تحليل جديد للنصوص برؤية مختلفة أكثر توسعا من النقد الأدبي.

إن النقد الثقافي بشكل عام هو تحليل للنصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية والشعرية، والنقد الثقافي اعتمد على التوسع ليشمل جميع المجالات التي تؤثر في الإبداع الأدبي، وكل ما يعني المؤلف والمتلقي والقصدية، فهو يُعْنَي بالفكر سواء كان ثقافياً،أيديولوجياً،وعقائدياً...إلخ ومن ثم فالنقد الثقافي يدرس كل أنواع الخطابات في جميع المجالات ثقافية، سياسية، واجتماعية...إلخ.

جاء النقد الثقافي ليقوم على فكرة نقد المرتكزات المعرفية الفكرية، التي تحملها الأنساق الثقافية، فهو "في أبسط مفهوماته ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة، إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة" [2]ذلك أن النقد الثقافي يرى الخطاب الأدبي فيه" قيمًا نسقية مضمرة، تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن، ظلت الثقافة العربية تعاني منه على مدى مازال قائماً، ظل هذا النسق غير منقود، ولا مكشوف بسبب توسله بالجمالي الأدبي، وبسبب عمى النقد الأدبي عن كشفه مُذْ انشغل النقد الأدبي الجمالي، و لم ينشغل بالأنساق الثقافية.."[3]ومن ثم هذه الرؤية للنص في التحليل هي من باب التعمق في الخطاب الأدبي.

إن التحول لما يتوارى خلف المعني المتمثل في – النقد الثقافي– " نشاط تعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والأخلاقية والإنسانية والقيم الحضارية، بل حتى الأنساق الثقافية الدينية والسياسية"[4] معنى ذلك أنها تعكس القيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والسلوكات في المجتمع، وكيف يتم توصيفها وتفسيرها من خلال العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية. ومن ثم فهم التنوع الثقافي والتفاعلات بين الأنساق الثقافية المختلفة، وكيفية تأثيرها على الهوية والتكوين الاجتماعي والسلوك الإنساني.

أعلن عبد الله الغدامي من خلال هذه الفكرة، عن موت النقد الأدبي ذلك أنه يؤكد على أن النقد الأدبي" قد بلغ حد النضج، أو سن اليأس، حتى لم يعد بقادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالميا، وعربياً"[5]هذه الرؤية جعلت من الغدامي يقدر مشروعه البديل (النقد الثقافي)"[6]المحمل بمجموعة من المصطلحات والمفاهيم

منها (النسق المضمر، العنصر السابع، الدلالة النسقية، المؤلف المزدوج، التورية....) وهي من بين المرتكزات التي يقوم عليها هذا النقد الذي حول وجهة تأويل النصوص ونقدها إلى نقد الأنساق الثقافية.

بخصوص تلك المضمرة والمتوارية خلف الإبداع الجمالي، والتحول إلى كشف عيوبها، حيث أن النسق المضمر هو القاعدة الأساسية في النقد الثقافي. وإن كنا ههنا لسنا بصدد وضع مقارنة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، إنما دافعنا يرتكز بالدرجة الأولى على فهم اشتغال الأنساق الثقافية، و إن كان يتطلب ذلك في البداية وضع مفهوم عام للنسق الثقافي في الوقت ذاته.

3. النسق الثقافي

يعتمد النقد الثقافي على رصد الأنساق الثقافية المضمرة، وذلك بالوقوف عند الجمل والمجاز والكنايات والصور والدلالات، ويعرف عبد الله الغدامي النسق الثقافي بقوله"الأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية راسخة ولها الغلبة دائماً، وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجاً ثقافياً أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر، الذي لا بد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه..."[7] فلعل النسق الثقافي هو تركيب بين النسق والثقافة، يتعمق في التفاعل القائم على عناصر مرتبطة بالمعارف والمعتقدات وكذا الفنون والعادات، والإيديولوجية وكل ما يرتبط بالإنسان، المتولدة مما يكون موروثًا من المكتسبات داخل المجتمع، من خلال سلوكاته ونشاطاته عبر أنسجة فكرية،

يأتي تمظهرها من خلال الخطاب الأدبي الجمالي والجماهيري، ذلك أن العالم لم يعد منغلقاً على نفسه، فمن خلال التحول في عصر ثقافي، وما يحويه من طفرات ثقافية وعلمية، التي تضمر أنساقا صانعة لهذه الثقافة، وضرب العقلية الغربية المنتهجة لقيم الذكورة وقمع الآخر أو تغيبه، كما وسعت التكنولوجيا إلى فضح القوة الغربية،وبداية تعددية الثقافات من هنا " انبثق الاهتمام بالأنساق الثقافية بوصفها حاملة لكل أمراض العصر، وهي الأداة التي يمكن أن نصل معها إلى حل وسط.

والنسق الثقافي الكاشف هو نص خاص في جسد النص، وليس من صنع المؤلف، وينغرس داخل الخطاب الحاضن، ومنبعه الثقافي ومستهلكه الجماهيري، ووجوده المجرد، ولا يكون إلا من خلال تعارض نسقين أو أكثر.

إن الأنساق المضمرة يمكن من خلالها فهم الذهنية الثقافية المحركة لكثير من الأشياء ، تفكيرنا ذائقتنا، إنها تحافظ على سيرورتها ودوام تأثيرها عبر ضغط المؤسسة التي تتماشى مع الأنساق، وطموحها بالهيمنة على البنى الذهنية المجتمعية وفرض طابعها عليه، لا لشيء إلا بهدف الاستحواذ على السلطة أو إدامة مصالحها عبر الهيمنة والاستحواذ والتسلط"[8]ليصبح هذا التحول في الخطاب يؤدي به النسق إلى مسايرة منطقه"إن النسق الثقافي خطر، و خطورته هي في كونه مضمراً، و أمنا حيث يمارس تأثيره دون رقيب، وحينما يأتي النقد لكشف هذه الأنساق؛ فإنه بذلك يحرك سكوناً ذهنيا وبشرياً، أن مطمئناً وراضياً عن نفسه"[9]فهو فهم ما وراء الفكر المتأثر بالمكسب الثقافي.

4. الدلالة النسقية للعنوان

العنوان هو فاتحة الرواية، بحيث أن " العنوان يعد مفتاح عالم الكِتاب، إن لم يكن هو بابه الرئيسي"[10] ومن أهم الدلالة السميائية التي تعبر عن الإبداع الأدبي، فهو "العنوان للكتاب كالاسم للشيء،بع يعرف و بفضله يتداول، يشار به إليه ، و يدل به عليه،يحول وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه عنوان .."[11]ومن ثم قد يكون خلاصة الرواية بأكملها، وولوجاً مهماً للإبداع الأدبي.

إن العنوان الذي يعد العتبة النصية في رواية، والذي يشير إلى محتواها والقضية الأساسية التي يبني عليها الكاتب أحداثها، فعبر هذا العنوان "البطاقة السحرية" بدى أنه منقسم إلى كلمتين "بطاقة" و"سحرية"، غير أنه على الرغم من بساطة الكلمتين، واجتماعهما في عنوان واحد، إلا أن الغموض ما يزال مسيطر عليه، بحيث لا يفسر بشكل عميق خلاصة الرواية، فالعنوان يضع المتلقي في حيرة على هذا النوع من البطاقة ولماذا وصفت بالسحر؟ ما يثير في نفسية المتلقي، وفي فكرِه طرح العديد من التساؤلات حول هذه البطاقة ونوعيتها وماهيتها، التي لن يتمكن القارئ من إيجاد جواب لها، إلا عبر تتبع مسار الرواية والتفاعل مع أحداثها، فهو يؤدي دور الإغراء، الذي يدفع المتلقي لقراءة الرواية، واكتشاف سر العنوان. وبالضبط نوعية السحر الذي تميزت به هذه البطاقة، ومن ثم فالنسق الثقافي المضمر يشير لوجود تفكير غير عادي، أو نص به شيء خارق ومستحيل داخل النص، فيأتي التفسير والتأويل إلا أن العنوان يخفي هيمنة القوة والسلطة، وشيء لا يمكن أن يمتلكه إلا من لديه يد خارقة وقوة لا يمكن مقاومتها.

إن غموض العنوان يؤدي، من خلال القراءة النسقية للرواية التي نحن بصدد دراستها، إلى بروز أنساق ثقافية مضمرة تعبر عن ثقافة، وأسطورة خارقة لسلطة قامعة ومستبدة، شيء يؤكد على هذه القوة، يتبلور داخلها نسق سلطوي واجتماعي يؤمن بوجود خوارق وقوى يصحب تحديها، تعطي نسقية جلية للرواية.

5.نسقية الرواية

إن موضوع الثورة وحرب التحرير في الرواية الجزائرية، من بين هواجس الكتاب الجزائريين، وأكثرها تلك البطولات والمنجزات التي قام بها أبطال حقيقيون، آمنوا بالحرية والاستقلال فعاشوا على أمل هذا اليوم، فضحوا بالنفس والنفيس من أجله، هذه البطولات دفعت الكثير من الروائيين إلى توثيقها برؤية فنية؛ فولجوا بها إلى العالم المتخيل، والعودة إلى الماضي المحتار بعناية، من أجل كشف المسكوت عنه ومحاولة كشف المشاكل والعقبات في تلك الفترة، وكذا تمرير أيديولوجية مزخرفة بفنية روائية، سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو عبر استخدام الرمزية، ذلك أن الرمز يُعدُ من أهم الوسائل الفنية داخل الرواية، خاصة لما يُمتزج مع التاريخ . من منطلق أن التاريخ فيه حقائق متوارية ومطموسة تحولت إلى مسكوتٍ عنها.في الواقع ولاسيما المجتمع، وإذ نفحص كل المشاكل التي تقع في الرواية، والدراما نتيجة علاقة الكاتب بالواقع التاريخي"[12]ومن ثم فالخبرة التي يؤديها الروائي، لها دور مهم في شحذ اللغة. والتعامل مع مصادر متنوعة بالاعتماد على التوليد والتناغم.

إن التوجه لقراءة الإبداع الروائي للكاتب محمد ساري،وتميزه الملامس للواقع وإعادة تخيلة، يمنحه القدرة على كشف الحقائق ذلك أن "الحقيقة لا تبدو في صورتها السابقة، والأصلية إلا في أعماق الأشياء، وليس تحت سطحها مباشرة حيث يتم الكشف عن هذه الأعماق الرمزية بالإيحاء والتلميح ومثل هذه القواعد الفنية في نظر الرمزيين هي عوامل خلاقة تولد المعاني في ذهن القارئ "[13]ليأخذ المتلقي إلى أشد بؤر الصراع والأزمة؛ فالكاتب"يؤرخ لحدث سياسي واجتماعي ممتد من زمن ما قبل الاستقلال إلى ما بعده. وتتضمن مجموعة من الإحالات التاريخية والاجتماعية التي تحتضن مناخ الراية مكانا وزمانا"[14] متناولا قضية وهي صفة الجهاد التي يثبت حقيقته من طرف الدولة الجزائرية عن طريق (بطاقة المجاهد)؛ فهي "بطاقة الاعتراف بالنضال في صفوف الجيش الوطني الشعبي، هذه البطاقة التي كانت محوراً للصراع القائم بين شخصيتين «مصطفى عمروش»و«أحمد تكوش» المدعو ب«السارجان»، الذين مثلا نسقا الخير والشر، الذي اختلط به التاريخ الجزائري، والمشوه له، مُمررا نسق الخيانة والتزوير في الشهادات التي يحصل عليها من ركبوا الحرية وتحولوا بين عشية وضحاها، من خائن للوطن إلى محب له.

الرواية محملة بنسق الرفض للوضع الذي شهده الواقع السياسي، وأن حرب التحرير فعلا استطاعت طرد المستعمر، لكنها تركت من ينوب عنه، وأن الحرب ما زالت لم تنتهي بعد. ولا بد من تصفية من خان الوطن، إلا أن مفارقة الواقع، حول الخائن إلى صديق، وتأنق نسق الخيانة الكبرى من الدولة نفسها لأنها لم تحارب هؤلاء. ومن ثم خيانة الشهداء وخيانة الثورة والوطن.

6. نسق الشخصية

الشخصية هي عماد الرواية ومسير الأحداث؛ فهي "هذا العالم الذي تتمحور حوله كل الوظائف السرية وكل الهواجس والعواطف والميول؛فالشخصية هي مصدر إقرار الشر في السلوك الدرامي"[15]ومن ثم كان تركيز محمد ساري عليها، بل والركيزة الأساسية في سير الأحداث.والشخصية في الرواية، تبرز معاني القيم والنبالة التي بدأت تتراجع لتضارب المصالح، التي تؤثر على النفسية فتوحي لها بالضعف أو المقاومة للمغريات و العروض المادية.

1.6 شخصية مصطفى عميروش ونسق الخيبة:

إن هذه الشخصية، في الرواية تحمل معاني الرجل الشريف النزيه المتمسك بمبادئه والنبل والشجاعة، شخصية وطنية بامتياز، كان مجاهدا في حرب التحرير الوطني، وقد حاول تمرير الروائي لنسق المظهر "طويل القامة. نحيفا ولكنه قوي البنية، تتوسط وجهه المعظم بالوجنتين، البارزتين شلاغم سوداء كثيفة الشعر منحدرة قليلا حول الشفتين، يكتنف شعر رأسه بياض من الشيب لم ينتشر بعد انتشارا يوهم صاحبه بأنه شاخ ..."[16]هذا الوصف الذي يحمل النسق الثقافي المتجلي في مواصفات الرجولة في الثقافة الشعبية وبخاصة «الشلاغم» التي تعد رمزا للرجولة والقوة في الثقافة الشعبية.وهي (الشوارب) "والجزائري مند زمان يفتخر ببرنوس هو موسطاشه كرمز للهوية و مفخرة للرجال على وجه الخصوص"[17]

هو إبراز للرجولة التي بدأت تتراجع عن مبادئها ومواقفها المعبر عن رسالة فقدان لمكانة الرجل الأصيلة، عبر التاريخ حيث كان يعبر "كل شعرة نمت فوق شفاه الرجال خدمت هدفها خلال مسار التاريخ فهو لطالما كانت المؤشر عن كونه حاملها يمتلك معدلات عالية من التستوستيرون وعليه عينة يمكنها التكاثر أو حالة معروفة لرجل كان يملك شاربين"[18]وقد عبر الكاتب عن مدى أهمية الشارب في المجتمع القروي والجزائري "إن تراجع سيصبح أضحوكة القرية، رجل بشلاغمه يتراجع عن كلمته تحت تأثير زوجته أو ابنته، هذا عار فضيع سيلاحقه بقية حياته وسيحرمه من النوم الهادي ومن الافتخار برجولته أينما كان"[19] .

إن شخصية «مصطفى عمروش»، الذي كان من بين الذين أمنوا بالشهادة من أجل الوطن أو الحرية، والعيش في وطن حر عادل، غير أنه صُدِمَ بواقعه المر مِثَّله مِثل كل المجاهدين، الذين اعتقدوا أن الاستقلال سيجلب الحق ويبطل الباطل، صدموا بواقع مخيب للآمال، هو صدام مع واقع الحياة، الذي حاول الكاتب محمد ساري تمريره داخل النص والتعبير عنه عبر شخصية «مصطفى عمروش»" يريد السارجان أن يصبح مجاهدا بعد ربع قرن من الاستقلال هذه نكتة العصر، لم لا والخونة أصبحوا يملكون البطاقة كخاتم سيدنا سليمان، تفتح الأبواب الموصدة وتنطق الجماد وتحي الأموات"[20] وهذه خيبة ما بعد الاستقلال التي تبرز مدى تجدر النسق السياسي الفاسد والقائم على المصالح، والابتعاد عن قيمة العدل واستغلال الفرص.وفتحول الصراع بين الشخصيتين إلى رمزية بين الحقيقة و التزوير الذي انتشر في تلك الفترة من الزمن.

يمكننا النظر إلى هذه الرؤية من زاويتين، الزاوية الأولى هي الإيمان بقيمة الثورة، وأنها شيء له قدسيته ومكانته كتاريخ لما قام به المجاهدون ومن استشهدوا، من أجل إحياء كلمة الحق، والتخلص من الظلم واسترجاع إنسانية المواطن البسيط

والحفاظ على هويته الوطنية التي أوشكت على الاندثار، والزاوية الثانية هي رؤية انتهازية تطمع في ركوب قافلة الانتصار، مع التخاذل الذي شهدته، ومحاولة تزوير صفة المجاهد، وحمل نفس شرف الجهاد؛ الذي ما كان لهم أية علاقة به. وشخصية الشارجان هي شخصية مضادة لشخصية مصطفى عمروش، والعالم بتاريخه غير أن السارجان لم يهتم بالموقف الذي وضع فيه على أن تاريخه واضح للناس داخل الرواية، طالما ليس هناك أدلة على خيانته.

2.6 شخصية أحمد تكوش أو السرجان:

هذه الشخصية المفارقة لشخصية «مصطفى عمروش»، حيث أن«السارجان»هو مثال للخيانة والحركي المتميز بالصفات القبيحة والخسيسة، وبخاصة تميزه باستغلال الأخريين معتمدا على ثروته الضخمة، وكذا تميزه بعديد الصفات التي تفتقر للأخلاق الإنسانية السوية، حتى أن الروائي صوره قصير القامة" حينما تعرف على المنادي وصاحبه المتكمش داخل السيارة بقامته القصيرة حتى كاد يختفي كليا"[21]هذا القِصر الذي جعله الروائي من صفات البشاعة،المتولد من النسق الثقافي الذي ارتبط "بالخبث والفتن وأينما حل حلت معه المصائب والبلاء"أقربهم للأرض أشدهم بلاء" كما يقول المثل العربي"[22] ، ليكون «السارجان» بؤرة المولد للتوتر والصراع القائم بينه وبين«مصطفى عمروش» ، من أجل الحصول على بطاقة النضال أو الاعتراف له بانضمامه إلى جيش التحرير الوطني أيام الاستعمار، مستخدما كل معارفه وماله يتلاعب بالجميع في سبيل تحقيق مصلحته، من أجل الحصول عليها وهو الذي اعتاد أن يحصل على كل ما يريده" لقد اشترى السارجان كل الناس في هذه القرية بما فيهم رجال الدرك،.."[23]، بالرغم من أنه غير محتاج إليها،إلا أن «السارجان »كان همه هو تحسين صورته ومكانته تجاه المجتمع و لو بالتزوير "إن عدم امتلاكي هذه البطاقة جعل الألسنة تتهمني بالخيانة أثناء الثورة، و يعلم الله أني لم أبع أحدا ولم أخن ..."[24]خصوصا وأنه يعلم بأنهم يعلمون بتاريخه المتخاذل مع الثورة وتعاونه مع الاستعمار،فهو مثال لأولوية المصلحة عن الوطن.

7. نسق التخاذل

أثار الكاتب والروائي محمد شاري مجموعة من القيم التي بدأت بالاندثار، بسبب أطماع النفوس المريضة في استغلال ظروف المحيطة بالمصلحة الفردية، والصراع الذي قام بين «مصطفى عمروش» و«أحمد تكوش» هو صراع أبدي بين الخير والشر، بين القناعة والطمع؛من خلال استدعاء العديد من القضايا الشائكة داخل المجتمع، صراع بين المبادئ والخيانة ،وإخضاعها للتحليل والتدبر، ليجد المتلقي نفسه في مشهدية درامية في قالبها الحكائي والسردي المتعمق كحقيقة صادمة، وإظهار السلوك المُلِح هنا، والذي تمارسه الذوات المجسدة من خلال التواصل فمن جهة " تمتلك الرواية رؤية خاصة تمجد الثورة و في الوقت ذاته تعري المستفيدين منها أو المتاجرين بها في أسواق الاسترجاع و الاستثمار الريعي[25] ليكون المعنى الحقيقي متجلي بنفس رؤية مدرسة كونستانس الألمانية*التي ذهب روادها، وعلى رأسهم فولفغانغ إيرز بأنه أثَر يُعاش وليس فقط موضوعاً نساهم في تجديده.

إن غلبة المشهد الدرامي على المجتمع القروي البسيط،وجعله يبرز حضور نسق التخاذل والخوف، سواء إبان الفترة الاستعمارية كما هو في شخصية العجوز التي أباحت له بخيانة«السارجان»"كنت عجوزا وخفت من بطش مسيو غوميز والسارجان، كنت مغلوبة على أمري مغلوبة مع أبنائي الخمسة وابني الذي لا يتجاوز الخامسة نمن عمره، كنا نسكن في هذا الكوخ وحدنا، لا رجل يحمينا، كانت الظروف قاسية.... والآن تعرف الحقيقة لكن لا يمكن أن نتكلم، لو يسمع السارجان يستعين بالدرك، و يطردوننا من كوخنا و ربما يدخلوننا الحبس...إنه قوي و الحكومة معه ..[26].

حاول الروائي رسم تجربة المعاناة للإنسان النزيه المؤمن بالمبادئ السامية، والوفي للقيم الإنسانية، فصُدم بواقع أمر من الاستعمار الذي عاينه، لأن العدو أصبح يعشش بين أبناء البلد نفسه، فعاش في ألم وإحباط عندما اكتشف الخيانة، التي حاربها، فتحول حاله إلى اغتراب وطني ونفسي، في ظل النفاق المنتشر في الوسط السياسي الاجتماعي، تحت ظل الحكم الفاسد الذي شجع على التمادي في التلاعب بالقوانين ، ومن ثم هيمنة الخداع

تزايد الصراع بتكرر مشهد الخيانة من طرف«السارجان»، هذا النسق الذي احتل عقله، لتزايد أطاع الأفراد الدين يشتريهم بماله وفوده، «نصحه بعض أصدقائه المقربين بتجنب شر السارجان وبطشه. إنه قوي بماله وعلاقاته المتشعبة مع مسؤولين كبار في الدولة بل منهم من قالها صراحة دون التواء"[27] فكان هناك تعرية للمجتمع، الذي يستجيب للفساد والاستغلال بحجة الخوف وعدم الطاقة في المواجهة، إلا أن «مصطفى عمروش» خرق هذه القاعدة بوقوفه في وجه «السارجان»الخائن، ما أدى للتخلص منه بقتله.

8. نسق الفحولة

يصور النص نسق الرجل المثالي، الذي لا ينجر وراء مغريات الحياة التي سلبت عقول العديد من أفراد المجتمع، فلم يعد التمسك بالأخلاق والمبادئ العليا من اهتمامات الشعب، الذي، لم يعد بوسعه أن يراها من قيمه، وتحول الاهتمام إلى إتباع المصلحة الفردية، إثر الهموم التي أضحت تَنْكَبُ على كاهله،وتثقله هموم الحياة. ورضي بالتهميش.

يظهر النسق هنا في شخصية مصطفى المثالي وعيشه على الماضي الثوري، وإصراره على التمسك برفض وتقبل وجود خائن الثورة، يسرح دون حساب. " إذا أراد التوبة فليطلبها من الله، هو وحده الذي يقبلها أو يرفضها، أما البطاقة فما دمت حيا وفي هذا المنصب أقسم بروح كل الشهداء أنه لن يراها ...سأفضحه في الاجتماع بحضور الجميع، أتوقع أن يسانده كثير من إخواننا المجاهدين الدين لا يعرفون الحقيقة أو أشباه المجاهدين الدين لا يملكون من الجهاد إلا البطاقة، لكنني سأرفض رفضا قاطعا، أن أتنازل عن موقعي، ألطخ ذكرى سي السعيد ومعه كل الشهداء"[28]

إن استحضار شخصية السعيد الذي استشهد بسبب خيانة السارجان، من يبرز صورة التمسك بالرفض المطلق، الانكفاء في دائرة الإخلاص وهي شكل من أشكال التمزق النفسي الذي يعيش على تأنيب الضمير، في الانتقام من هذا الخائن،والتخاذل عن ذلك هو تخلي على مباديء الثورة ومبدأ المجاهد الحقيقي"لم أبع كرامتي بالأمس ولن أبيعها اليوم وأنا لم يبقى لي من الدنيا إلا القليل"· فقد شكل لنا هذا النسق الصورة العامة لصفة الرجل المثالي وبحسب موقعه في الرواية.هذه المثالة التي حاول الروائي تمريرها للمتلقي من أجل فتح باب قضية الضمير الذي بدا يتراجع مع أولى الامتيازات التي قررتها الدولة المستقلة، مكافأة لمن جاهدوا في سبيل تحرير الوطن، إلا أن ذلك لم يمنع النفوس المستغلة، من البحث عبر الطرق الملتوية للوصول إلى هذه الامتيازات.

9. نسق التسلط و التجبر

يحاول الكاتب نحمد ساري، وعبر شخصية«السارجان» كمثال لوجود فئة التجبر والرغبة في التسلط، حيث أن"الشخصية المتسلطة هي شخصية جامدة وباردة، تقودها الرغبة الدائمة نحو جعل الآخرين مسخرين لتحقيق أهدافها الذاتية ولا تعترف بالرأي الآخر وغير مستعدة بالأصل لسماعه أو لأخذه بعين الاعتبار، والشخص المتسلط هو الشخص الذي يريد تسير العالم على حسب هواه وغير مستعد للتنازل عن أفكاره وآرائه حتى لو كانت غير متناسبة مع المنطق والواقع. يحبون دائما أن تدور الأشياء في فلكهم و مستعدون لعمل أي شيء في سبيل أن تظل الأشياء تدور في فلكهم و تحت سيطرتهم،

إنها شخصية تبدوا باردة انفعاليا للخارج لا تتأثر بالأشياء الخارجية، إلا بمقدار ما تمسها ذاتيا "[29]و هذه الصفة صبها الكاتب في شخصية «السارجان» إضافة إلى انتهازيته ووصوليته.

إن التسلط والاستبداد يمنح صاحبه الحق في اتخاذ القرارات، والتحكم في الآخرين واختيار تصرفاتهم، والسارجان رجل محب للتعالي والتحكم بالأمور من غير الشعور بالذنب، بل وقد يخلق أكاذيب ومبررات يوهم بها الآخر من الأجل مصلحته "أقسم لك بشرفي وأمي المدفونة تحت التراب وبدم الشهداء الطاهر أني لم أبع أحد،.... من قال لك هذا الكلام؟ أنا مستعد لمواجهته... أنا بريء.... أنا بريء...كان يتوسل يتضرع، يريد أن يبكي أن يفعل أي شيء لإثبات براءته أمام مصطفى الذي واصل سيره ولم يهتم بكلامه. كان مقتنعاً بخيانته "[30]، من خلال أسلوب تعامله مع الناس ومحاولة السيطرة عليهم، لقناعته بحاجة الناس إلى سلطته وماله، أو خوفهم من تجبره.

9. نسق المفارقة بين الجيلين

الرواية تعتمد على التاريخ في سرد الأحداث، وكشف الخبايا التي كانت وما أثمره التحول بعد الاستقلال، جيل عانى ويلات الحرب واستحقار الاستعمار، جيل عاش من أجل التضحية والأمل في الحرية، غير أن النفوس تختلف والرجولة ليست ميزة كل الذكور، فبالرغم من وجود احتلال ورفض للشعب الجزائري إلا أن ضعاف النفس، دفعهم لمساندة الاستعمار ضد إخوانهم ما تسببوا في مقتل الكثيرين، أو كشف خطط المجاهدين، من أجل بعض التحفيزات التي يتلقونها من المستعمر الغاشم.

إن شخصية «مصطفى عمروش» باقٍ "في حنين قاتل إلى العودة للماضي الذي كانت فيح الحياة غالية يضطر الإنسان إلى الدفاع عنها بكل ما يملك، ماضي يعرف دوي الكلمة وقيمة الوعد وحرارة الدفاع عن قيم لا قيمة لمال الدنيا كله بجانبها"[31]ويبدأ الشعور بالتعاظم بتبعاته واحدة تلوى الأخرى. إلا أن المفارقة في جيل الاستقلال الذي نبذ التاريخ في مشهد نافر بسبب الأوضاع التي لمسها جيل الاستقلال من ضياع و مستقبل ضبابي من جهة و من جهة أخرى وجود محفزات من طرف الدول اتجاه المجاهدين "سمع مرة شابا يحاور صديقه و هو داخل الحافلة ذهابا إلى الجزائر العاصمة يتكلم بصوت مرتفع يملؤه الحقد و الغضب، قائلا بأن المجاهدين استولوا على كل شيء ، سيارات مساكن محلات تجارية،مناصب شغل و لا يمكنك أن تحاسبهم على فعل خاطئ"[32]هو نسق سياسي يحاول الكاتب تمريره عن العطايا للمجاهدين مكافأة على خدمتهم و تضحيتهم من أجل حرية الوطن ، أو هو شراء الذمم و المحافظة على ثبات و إرساء الدولة ، وهنا يستوقنا المشهد الذي يعبر عن الواقع الراهن ما يفرز العديد من الأسئلة المحملة برغبة لكشف الحقيقة،أو إعادة التفكير في الواقع.

9. نسق التخاذل

نجد الروائي محمد ساري يلجأ إلى تصوير المجتمع في صورة أقرب ما يكون إلى الضعف و الاستكانة بعد الاستقلال، والمصدوم بواقع أكثر استغلالية، عبر ما يعيشه الأفراد من حاجة ملحة للعيش الكريم وتحطم أماني الحرية، وهو انتقاد للأيديولوجية السياسية التي قامت على التمييز بين فئات المجتمع، عبر إعطاء امتيازات للمجاهدين وأبنائهم، دون النظر إلى الفئات الأخرى خصوصا في فترة الاستقلال ذلك الجيل الذي لم يعايش المستعمر، ولم يعرف قيمة الجهاد، وإنما و جد نفسه وسط صراح مع الحياة و الجري وراء متطلباتها، ما أشعره بالنبوذ و الزيادة الشعور بالاغتراب داخل الوطن الواحد.

فمهمة الكاتب الواقعي هو تحليل للواقع المظلم في سبيل إيجاد الحل الأمثل، وما الرسائل التي يمررها إلى تعبير عن التفرقة بين الأفراد، التي تؤدي إلى خلق معارضة فكرية واجتماعية،وهو نقد لمصير دولة التي أنشأت هذا التباعد الفئوي، إلى خلق مهمة صعبة،وليس غريبا أن يلتجأ الكاتب إلى التحقيق عبر الرواية، لتعرية هذه السياسة، ما خلق بحثا عن الذات.

10. خاتمة

إن الحنكة التي تميز بها الكاتب في عرض أحداث روايته، مكتنزة بالعديد من الأنساق الثقافية التي اشتغل عليها الكاتب ، بالنظر لما تحمله أهمية القضية المعروضة، والتي في حقيقتها هي عرض عام لنسق الخيانة المناهض لكل خلق ، صفات جميلة حيث يكشف الروائي عن صور من تلك الخيانة، التي بدأت من خلال المحفزات التي أمدتها الدولة من اجل ذريعة الاعتراف بنضالهم في تحرير الوطن، وكذا، فإن البطاقة التي تحمل هذه الامتيازات، التي هي ذريعة لنسق ثقافي مضمر، يتجلى في الضمان أكبر عدد من الشعب لعدم معارضتها عن طريق تلك المحفزات، خاصة مع بداية تأسيس الدولة، وسياسة الحزب الواحد.هي رسالة مباشرة لشراء الذمم عن طريق الاستغلال التاريخي، وحجة دامغة ضد الشعب.

-كشفت الأنساق الثقافية عبر تأويل النص الروائي إلى مجموعة من الأنساق كان أبرزها نسق الإخلاص والخيانة.

-أبرز العقلية الشعبية في الضعف أمام الإغراءات والمصلحة من أجل المال وتدهور المبادئ والقيم الأخلاقية

- تمظهر بؤرة الصراع القائم على سلطة الخير والشر، وبين الرجولة والذكورة إذ تعتبر صفات ذات قيمة داخل المجتمع وانهيار الواحدة على الأخرى.

- تغلب فكر الخضوع والنفاق وعدم الخروج على المجموعة الذي يعتبر بمثابة فقدان للمصلحة، أو الضعف وعدم مواجهة الشر فتحولت المواجهة إلى خنوع.

-الدفاع عن الحقيقة، هي بمثابة انتحار في ظل المزيف.

11. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

- عبد الرحمان عبد الله أحمد، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجاً، إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية،ط1، 2013، ص5
- سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب،دارالجواهري، ط1، 2012،ص 7
- عبد الله محمد الغدامي،عبد النبي أصطيف،نقد ثقافي أم نقد أدبي،دار الفكر،2004،ص33
- الله الغدامي، النقد الثقافي قراء في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007،ص80
- عبد الرحمان عبد الله أحمد، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجاً،ص 39
- نادر كاظم، تمثلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للنشر،ط1، 2004،ص10
- عبد المالك شهبون، العنوان في الرواية العربية دراسة،محاكاة للدراسات النشر و التوزيع،ط1، 2011، ص9

- محمد فكري الجزار،العنوان و سميوطيقيا الاتصال الأدبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998،ص15
- جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تر جواد كاظم، دار الثقافة و اللإعلام ، ط2، 1986،ص240
- جمال غلاب، مقاربات في جماليات النص الجزائري، منشورات إتحاد الكتاب العرب،ج1،ط1، فيفري،2002،ص 42
- عبد المالك مرتاض،القصة الجزائرية المعاصرة،ط4، 2007، دار الغرب للنشر،ص8
- رفيقة سماحي، التناص في رواية خرفان المولى ل ياسمينة خضراء،دار اليازوري،ص123
- محمد تحريشي،تداخل الأجناس و تراسل الفنون في الرواية،دارخيال،برج بوعريريج، الجزائر، نوفمبر،2021،ص 44

- **موقع الإنترنيت**:

- سامر جميل رضوان، الشخصية المتسلطة و علاجها، www.annadjah.net
- بوشعيب الساوري، قراءة في رواية البطاقة السحرية لمحمد ساري، 9 تموز (يوليو)2007،WWW .DIWANALAEAB.COM
- عطاء الله فشار،البرنوس و المزسطاش، 2017،28.02،WWW.ELHIWAR.DZ
- نسرين عزدين،الشارب عند عرب اليوم ...رجولة أم موضة،24.01.2017،www.arrajol.com

- **مقالات**:

- *ففي ستنيات القرن العشرين بدأ جماعة من النقاد و الباحثين في شؤون الأدب و النقد في جامعة كونستانس ببلوة اتجاه خاص في قراءة الأدب. و بات يعرف المشتغلون بهذا الاتحاد في جامعة كونستانس بجماعة مدرسة كونستانس، و كان في مقدمة هؤولاء هانز روبرت ياوس، و فولفغانغ آيزر ، ينظر عبد الباسط طلحة،الآليات النقدية عند رواد مدرسة كونستانس الألمانية،مجلة الأثر،ص180

- **هوامش البحث:**

[1]عبد الرحمان عبد الله أحمد، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجاً، إصدارات مثروع بغداد عاصمة الثقافة العربية،ط1، 2013، ص5

[2]سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب،دارالجواهري، ط1، 2012،ص 7

[3]عبد الله محمد الغدامي،عبد النبي أصطيف،نقد ثقافي أم نقد أدبي،دار الفكر،2004،ص33

[4]سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب،دارالجواهري، ط2012،1، ص 07

[5] المرجع نفسه،ص 12

[6]المرجع نفسه،ص12

[7]عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراء في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007،ص80

[8]عبد الرخمان عبد الله أحمد، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجاً،ص 39

[9]نادر كاظم، تمثلاتالآخرصورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للنشر،ط1، 2004،ص10

[10]عبد المالك شهبون، العنوان في الرواية العربية دراسة،محاكاة للدراسات النشر و التوزيع،ط1، 2011، ص9

[11]محمد فكري الجزار،العنوان و سميوطيقيا الاتصال الأدبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998،ص15

[12]جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تر جواد كاظم، دار الثقافة و اللإعلام ، ط2، 1986،ص240

[13]جمال غلاب، مقاربات في جماليات النص الجزائري، منشورات إتحاد الكتاب العرب،ج1،ط1، فيفري،2002،ص 42

[14]بوشعيب الساوري، قراءة في رواية البطاقة السحرية لمحمد ساري، 9 تموز (يوليو)2007،WWW .DIWANALAEAB.COM

[15]عبد المالك مرتاض،القصة الجزائرية المعاصرة،ط4، 2007، دار الغرب للنشر،ص8

[16]محمد ساري، البطاقة السحرية،منشورات اتحاد العرب،1997،ص6

[17]عطاء الله فشار،البرنوس و المزسطاش، 28.02.2017،WWW.ELHIWAR.DZ

[18]نسرين عزدين،الشارب عند عرب اليوم ...رجولة أم موضة،24.01.2017،www.arrajol.com

[19] محمد ساري، البطاقة السحرية،ص32

[20]محمد ساري، البطاقة السحرية،ص12

[21] الرواية نفسها،ص6

[22] رفيقة سماحي، التناص في رواية خرفان المولى ل ياسمينة خضراء،دار اليازوري،ص123

[23] محمد ساري، البطاقة السحرية،ص10

[24] الرواية نفسها،ص 12

[25]محمد تحريشي،تداخل الأجناس و تراسل الفنون في الرواية،دارخيال،برج بوعريريج، الجزائر، نوفمبر،2021،ص 44

[*]ففي ستنيات القرن العشرين بدأ جماعة من النقاد و الباحثين في شؤون الأدب و النقد في جامعة كونستانس ببلوة اتجاه خاص في قراءة الأدب. و بات يعرف المشتغلون بهذا الاتحاد في جامعة كونستانس بجماعة مدرسة كونستانس، و كان في مقدمة هؤولاء هانز روبرت ياوس، و فولفغانغ آيزر ، ينظر عبد الباسط طلحة،الآليات النقدية عند رواد مدرسة كونستانسالألمانية،مجلة الأثر،ص180

[26]محمد ساري، البطاقة السحرية،ص15

[27]محمد ساري، البطاقة السحرية،ص18

[28]الرواية نفسها،ص19

[29]سامر جميل رضوان، الشخصية المتسلطة و علاجها، www.annadjah.net

[30] محمد ساري، البطاقة السحرية،ص 14

[31] الرواية نفسها،ص 22

[32] الرواية نفسها،ص 24